رسائل سرية في شكل تقارير مخابراتية

بين محمد الحضري ورجال المخابرات الفرنسية

مصطفى الغديري

كلمة تقديمية

نقدم لقراء كنانيش مجموعة من الرسائل تعود إلى قرن ونصف تتضمن ملامح من الديموغرافيا التاريخية لتوافرها على مجموعة من الأشخاص بصريح أسمائهم وآخرين بالإشارة إليهم، وفئة ثالثة ذكرت بالرمز الذي يمثل شبه شفرة سرية. من هؤلاء القنصل الفرنسي جاجير شميث ونائبه كتيل فري والداهية الفرنسي "ليون الروش" وقدور السعيدي الطنجاوي، وقائد تازة السيد أحميدو، وأولاد القائد محمد أشعاش .بالإضافة إلى الأسماء الصريحة، نجد إشارات عامة إلى آخرين بدون تسميتهم في صيغة الإفراد تارة، وفي صيغة الجمع تارة أخرى، منهم الطبيب الفرنسي وقائد الباخرة الفرنسية التي زارت السيد محمد الحضري بقريته لحضارة بفرقة إزعوماً، وأخوة المسجون القلعي الذي كان بتطوان، وجماعة من الأشخاص من قرية إعزاناً، وسبعة أشخاص أجانب ينتسبون إلى مالطه سقطوا في أسر قرية إعزانا حين قام سكان هذه القرية بإلقاء القبض على سفينتهم بشواطئ بني بوغافر بقلعية، وتم ذكر قائد مليلية وصبي وجد داخل هذه السفينة.

وإذا كان الجانب الديموغرافي يتوافر في هذه الرسائل، فإنها تكشف أيضا عن جوانب أخرى تتعلق بتسريب معلومات تتعلق بالتراب الوطني في القرن التاسع عشر حين كانت فرنسا تتهيأ لاستعمار المغرب على غرار فعلتها في الجزائر، كما تكشف من جانب آخر على هشاشة الأمن الداخلي للمخزن

المغربي، وسهولة اختراقه من لدن رجال المخابرات الأجانب الذين كانت مختلف مناطق المغرب تعج بهم؛ فالسيد محمد الحضري الذي كان سلاطين المغرب في القرن التاسع عشر يتعاملون معه بطريقة مباشرة على أساس أنه محبهم الأرضى ويسمونه السيد البركة والقدوة الحسنة، ويعتبرونه عين المخزن المغربي في المناطق الشمالية الشرقية، نجده من كبار المخبرين يقوم بتسريب معلومات عن الوضع الداخلي للمخزن المغربي ويقدمه لمخبري الدول الأجنبية التي تجس نبض المغرب استعدادا لاستعماره، منها فرنسا خاصة، كما أن هذه الرسائل التي أرسلها إلى قنصلها بالمغرب الذي كان يقوم بدور رجل المخابرات فضلا عن المخبر المحترف " **ليون روش**" الذي كان يتجول بمختلف الدول العربية للقيام بالمهمة نفسها.

وأسلوب هذه الرسائل يكشف عن هذا بوضوح كقول السيد الحضري (وهو من أعيان السلطان في المنطقة) "اكتم سرنا لأن المخزن يتجسس علينا وعلى أمرنا معك" "وقالوا الحضري له كلام مع الفرنسيس" "وسرنا يبقى معكم"، "وإن كانت حاجة في ناحيتنا فأشرنا عليها تقضى المراد"، "وأخبرنا أن فلانا الروش"، وتراني لا نثق في المخزن أبدا "... وغيرها من التعابير التي تدل على تسريب المعلومات عن الأوضاع الداخلية. ومما يستغرب له أن هذا الرجل كانت له مراسلات مباشرة مع سلاطين المغرب الثلاث الذين عاصرهم: عبد الرحمان بن هشام، ومحمد الرابع، والحسن الأول كما تشهد على ذلك مراسلاته التي نتوفر على نسخ مصورة منها.

وبالرغم من أن أسلوب هذه الرسائل يكاد يكون عاميا في عباراته، لكنه يمثل نموذجا راقيا من التعامل المخابراتي مع الأجانب، وبخاصة أن هذه الرسائل لم تكن بعيدة عن وقت حدوث معركة إسلي بوجدة إلا ببضع سنوات، وهذا له دلالات أخرى على أطماع فرنسا في احتلال المغرب.

وهذه الرسائل الأربع تأتي في نفس سياق الرسالة التي سبق أن نشرناها في العدد الثاني من كنانيش (العدد: 2، صص. 113 _121) في الموضوع نفسه، ولنفس المخاطبين أيضا.

وغايتي من وراء نشرها هي تقديمها للباحثين الذين يعتمدون الوثائق في ترميم تاريخنا في القرن التاسع عشر، منه تاريخ منطقة الشمالية الشرقية خاصة. والحمد لله أولا وأخيرا.

الرسالة الأولى(1)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما المحب الأود الذي اشتاقت له القلوب، وحال بيننا وبينه علام الغيوب **مـNـزز**(2) أعانك الله ووقاك وحرصك.

وبعد؛ فقد غاب عنا خبرك، وهذه أيام وشهور وسنين ودهور لم يظهر عندنا كتابك ولا خبرك، وكنت أظن ألا ينقطع علينا كتابك ولو تكون من وراء

(1)_ أصل ه الرسالة نشر صورته الشمسية الأستاذ عبد المجيد بنجلون في كتابه:
Fragments d'histoire du Rif Oriental, et notamment des Beni Said, dans la deuxième moitié de XIXe siècle ..., p. 414.
بقصاصة مكتوبة بالإنجليزية توضح مصدرها حيث توجد نسخة وقد أمدني المؤلف _ مشكورا _ مصورة منها بالأرشيف الدبلوماسي بنانت الفرنسية وترجمة مقدمتها بالفرنسية، أوردها كما هي:
A.D.N; Tanger A.F.77 6 bis, Muhammad al-Hadary to [Jagerschmid?]
25 Jumada I 1276 /28March 1851[Photocopied: Arabic Original and French. Marabout du Riff NN (signe de convention avec la Mission de France) Louange au Dieu Unique etc .
A l'ami que notre cœur désire, et de qui nous sommes aujourd'hui séparé NN que dieu vous aide, vous favorise et vous protége. Nous sommes privé de vos nouvelles et voici des jours, des mois des années et des siècles que nous ne recevons de vous ni lettre ni nouvelles. Nous avions ....
كما أورد نفس المؤلف ترجمتها كاملة في الكتاب نفسه ص. 221 من السطر 48 إلى 52، مضيفا أن هذه الرسالة توجد مترجمة إلى الفرنسية في الأرشيف المشار إليه، وقد صحح كثيرا من أخطائها في ترجمة النص العربي.

(2) _ هكذا كتبت الكلمة، وهي تمثل، بدون شك، شفرة في الرسم لم نوفق في فك هذا اللغز أو الاسم الشفرة الذي يورده على هذا الشكل، وتارة أخرى يسميه موزي كما هو في الرسالة المخطوطة في آخر السطر 12، ومما يزيد تعقيدا أنه يسميه أيضا في الرسالة بـ"**فلان الروش**" كما يوحي سياق الرسالة إذن فـ**موزي** أو **مـNـزز** إشارة ورمز إلى الشخص ذاته، وقد يكون كاتب الرسالة لا يحسن التعبير ولم يستطع أن يوضح بأن صاحب هذا الاسم هو الواسطة بين محمد الحضري وبين الروش عن طريق قدور السعيدي، كما سنوضح لاحقا.

سبعـــة أبحـــر. وصاحبنـــا **قـــدور السعيـــدي**[3] قطـــع علينـــا رجلـــه وخبره، وأرسلت لك بطاقات ولم يظهر عندنا جوابه، وكذلك بلغني خبرك أنك في مدينة **الجزائر**، وأرسلت لك بطاقات ولم يظهر عندي الجواب إلا رجل قـــدم علينـــا يومـــا وقـــال لـــي: **فلان الروش**[4] يسلم عليك، لقيته فـــي مدينـــة **أبليـــدة**[5]،

---

(3) _ اسم **قدور السعيدي** يتردد كثيرا في رسائل محمد الحضري حين يراسل رؤساء البعثات الأجنبية بطنجة، فمن خلال اسمه يدل على أنه بلديّ من قبيلة بني سعيد مـــن إقلـــيم الناظور. ومن خلال ورود اسمه في هذه الرسائل التي بين أيدينا يدل على أنه كان يقوم بدور الوسيط بين قناصل الدول الأجنبية وبين محمد الحضري، وهو الذي يبلّغ الرسائل بينهما، كما نجده كان مقيما بطنجة.

(4) _ لعل هذا الاسم هو مجرد شفرة سرية، فالروش هذا قد يكون هو مـــوزي الـــذي سيرد بعد هذا، أومزز، الذي سبقت إليه الإشارة. ويذهب بنا الظن _ بحسب القـــرائن التـــي سنوردها _ أن روش هذا هو الداهية العسكرية الفرنسية ليون روش Léon Roches المولود بمدينة غرونوبل بفرنسا 1809م وامتد به العمر إلى ما بعد 1899م، وقد بدأ حياته بانخراطه في الجيش الفرنسي في الجزائر عقب احتلالها سنة 1832م، وفي سنة 1937 خـــلال فتـــرة الهدنة استطاع أن يخترق مناضلي الأمير عبد القادر الجزائري وصار الكاتب الخاص لهـــذا الأمير واتخذ لنفسه اسما عربيا "عمر بن الروش". وفي 1839 التحق بحاشية السفاح الجنرال بيجو "Bugeaud"، ثم ما لبث أن تحرر من الزي العسكري ليصبح مخبرا بزي مدني علـــى دول الدول العربية عامة منها دول شمال إفريقيا خاصة، وعلى المغرب بصـــفة أخـــص، لأن فرنسا كانت تعد العدة لاستعماره، وقام بعدة رحلات إلى العالم العربي، منها رحلة إلى الحجاز سنة 1842/41م، ويبدو من خلال رحلته أنه حضر موسم الحج في زي حاج مسلم، مدعيا أنه اعتنق الإسلام ليقوم بمهام الاستخبارات لصالح فرنسا، وكتب عدة مذكرات منهـــا: Trente deux ans à travers L'Islam اثنان وثلاثون عاما في بلاد الإسلام ولعب دورا كبيرا في الاستخبارات عن أوضاع المغرب في أواخر العقد الخامس وبداية النصف الثاني من القـــرن 19م، كما كانت له علاقات واسعة بأعضاء حكومة المخزن المغربي، منهم محمد بن إدريـــس اليماني الذي كان صدرا أعظم على عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وقد ســـاهم في اقتراح تعيين بعض سفراء المغرب لدى الدول الأوروبية وبخاصة لدى الحكومة الفرنسية، ومن جملتهم " **الحاج عبد القادر أشعاش** أو عشعاش" كما هو ثابت أسفل هذه الرسالة. ويتضح في آخر الرسالة العلاقة الوطيدة التي كانت قائمة بين محمد الحضري وبين أولاد عشعاش من خلال إخبار "**الروش**" بسجنهم والتعاطف معهم، وهو ما يؤكد أن الروش هـــذا هـــو "**ليـــون الروش**" الذي تحدثنا عنه. (ولمزيد من المعلومات عن الرجل الفرنسي والدور الذي لعبه فـــي السياسة المغربية لتكون منقادة لفرنسا في هذه الفترة يراجع ما يلي:

رحلة الصفار إلى فرنسا 1845_1846م دراسة وتحقيق: سوزان ميلر وخالـــد بـــن الصغير، منشورات كلية الآداب بالرباط 1995 سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقـــم : 2 ، ص.ص. 22 _31 وفيها إحالات كثيرة على مصادر أخرى. ومقال للفرنسي جيـــل-جرفيـــه كورتلمون Courtellemont; Gervais: Mon Voyage à la Mecque "رحلتي إلـــى مكة"، ترجمه إلى العربية د. محمد خير البقاعي، مجلة العـــرب الصـــادرة بالريـــاض عـــدد أبريل/ماي 2002 صص. 342 _361، هامش رقم 24).

ولابد لك من الجواب يصل إلى صاحبك **موزي** يمكنه لصاحبنا **قدور السعيدي** الطنجاوي. فإن سألت عنا فنحن والحمد لله في عافية ونعمة من الله شاملة، وبلادنا وجميع ناحيتنا لا بأس عليها، وأعطى الله الخير الكثير في هذا العام، وأصلح فيها الربح والزرع والنحل والفجل(6)، ولم يخص بلادنا سوى شيء من أحكام المخزنية(7). ترى قبائلنا فاسدين لم تصل إليهم الحكومة(8)، ترى قبيلة **لحلاف**(9) فاسدين ليس عندهم مخزن، والسيد **أحميدُ** عامل تازة لم يظهر له حس(10)، وأصحابنا أولاد **القائد محمد عشعاش** حبسهم السلطان وطلعهم إلى

---

(5) _ يقصد مدينة البليدة الجزائرية الشهيرة. ويدل هذا على تحرك هذا الشخص الأجنبي على طول وعرض أقطار المغرب الكبير، كما تدل هذه الإشارة إلى قوة التواصل لمحمد الحضري من خلال الرسل والمخبرين الذين يتعامل معهم، من مثل قدور السعيدي المذكور، وهذا الرجل الذي يشير إليه بدون تسمية.

(6) _ كل هذه العبارات تدل على جودة المحصول الزراعي لهذه السنة، لأن الفلاحة كانت بمناطق الريف هي المورد الوحيد للسكان وعباراته يقصد بها الماشية والزرع وعسل النحل والخضر.

(7) _ هذه الإشارة تدل على مد المخاطب بالمعلومات تتعلق بالوضع السياسي والإداري للبلاد، وهي التي كانت وما تزال الشغل الشاغل لرجال المخابرات الذين يجمعون المعلومات عن البلدان التي يتحركون فيها، وبخاصة وضع المغرب الذي كان مستهدفا من قبل الدول الأوروبية وتتسابق على احتلاله. ثم لا ننسى أن هذه الرسالة كتبت بعد مضي زمن قليل عن معركة إيسلي الشهيرة (سنة 1260 هـ/1844م)التي حاولت فيها فرنسا التعرف على قدرات المغرب الدفاعية، وكشفت لها هذه المعركة عن ضعف وهشاشة قوة جيش المخزن المغربي.

(8) _ في هذه الإشارة تأكيد للمخاطب على ضعف المخزن المغربي إلى درجة إنه لا يستطيع التحكم في الأوضاع الداخلية بمختلف المناطق.

(9) _ لم يكتف محمد الحضري بمد مخاطبه هذا بالمعلومات عن مناطق الريف، وإنما وصل إلى مناطق من شرق المغرب المتاخم للحدود الجزائر الذي تحتله فرنسا، لأن قبائل لحلاف كانت تقيم بالشريط الحدودي من أحواز عمالة وجدة آنذاك.

(10) _ هاهو يعرج على وسط المغرب ليقدم له بطاقة عن إقليم تازة الذي يتولى قيادتها العامل **أحميدو** في هذه الفترة، وحميدو هذا احتفظت أسرته بقيادة هذا الإقليم على مدى ما يقرب من قرن من الزمن، إذ نجد أحد أبنائه عمرو حميدو هو واحد من القواد الذين استعانت بهم فرنسا في محاربة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى جانب القائد المذبوح والقائد أوفقير... كما استعانت إسبانيا بقواد آخرين من نواحي الريف لمحاربته، ويصبح ابنه محمد عمرو حميدو عاملا على إقليم وجدة لعدة سنوات بعد استقلال المغرب 1956م. وتؤكد هذه الإشارات أن محمد الحضري كان من الرجال المخبرين الذين كانت لهم اتصالات قوية مع فرنسا ومدها بالمعلومات عن أوضاع المغرب عامة، وعن الشمال والشرق بصفة خاصة. وما بين أيدينا من مراسلاته مع مختلف الهيئات القنصلية الأجنبية، منها الإنجليزية خاصة، لا يدع مجالا للشك بأنه كان من رجال المخابرات، رغم المكانة التي كان يحظى بها لدى المخزن المغربي، على

فاس(11)، وقد تغيرنا من أجلهم غاية، فالله يطلق سراحهم عن قريب إنه سميع مجيب، والسلام.

في 25 جمادى الأولى عام 1261 هـ
ويوافق هذا التاريخ 27 أبريل 1851م
[بدون إمضاء مغلق ولا مفتوح]

مدى ما يقرب من نصف قرن، إذ عاصر الملوك الثلاث: عبد الرحمان بن هشام، وابنه محمد الرابع وحفيده الحسن الأول وبين أيدينا مراسلات عدة بينه وبين هؤلاء السلاطين.

(11) _ آل أشعاش، أو آل عشعاش، كما يرد في المصادر الأجنبية والمغربية التي تنقل عنها، أسرة تطوانية من الأسر التي اشتهرت في القرن التاسع بالثراء وتقلد مناصب الباشوية والقيادة على تطوان، ومن أشهر أفرادها الحاج عبد الرحمان أشعاش الذي كان عاملا للمخزن المغربي على تطوان ثلاث مرات ثم تولى ابنه الحاج محمد أشعاش نفس المنصب الذي تقلده والده وبقي فيه سنين عددا إلى أن توفي سنة 1845م، وبعده تولى المنصب نفسه ابنه البكر الحاج عبد القادر أشعاش ولم يطل في هذا المنصب طويلا حتى عين سفيرا للمخزن المغربي بباريس بتاريخ 16 سبتمبر من نفس السنة وغادر المغرب بتاريخ 13 دجنبر 1845م صحبة طاقم البعثة الديبلوسية تضم مجموعة من أقارب السفير الحاج عبد القادر أشعاش والحاج محمد الصفار _ كاتب الرحلة إلى باريس _ وبمعيتهم **"ليون الروش"** الذي سبق أن ذكرنا أنه كان من وراء تعيينه أشعاش في هذه المهمة الديبلوسية.واستمرت سفارته إلى غاية 27 فبراير 1846 م ليعود السفير أشعاش إلى تطوان ليستمر في منصبه عاملا على المدينة إلى أن تمت إقالته بشهر رمضان 1267 / 1850م، وقبل حلول عيد الأضحى استدعاه السلطان إلى فاس لتقديم هدية العيد كما جرت العادة بذلك. ولما وصل إلى دار المخزن بفاس زج به في السجن هو ومن معه من إخوانه وأقاربه وصدر قرار السلطان بمصادرة كل ممتلكاته بتطوان وبيعت لتعود أثمانها إلى بيت مال المخزن. ويذهب الأستاذ محمد داود إلى أن السبب في سجن أشعاش هي ضخامة ثروته وثروات أسرته، وربما أغرى ذلك السلطان لتنتقل إليه هذه الثروات. وانتهى الحال بالسيد عبد القادر أشعاش ليصبح موظفا مخزنيا بسيطا على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان بمدينة مكناس إلى أن توفي بها سنة 1282هـ/ 1866 م (وللمزيد ينظر رحلة الصفار إلى فرنسا _ مقدمة المحققين: 44 _ 57، تاريخ تطوان لمحمد داود 263/3، 303_ 334). لعل محمد الحضري يقصد هذه النكبة التي حلت بآل أشعاش أو عشعاش. وبين يدينا عدة رسائل متبادلة بين أعضاء أسرة آل عشعاش والسيد محمد الحضري، منها رسالة مؤرخة بتاريخ 14 ذي القعدة 1263هـ /1846م، ومن خلال نصها نستشف أنه كتبها إثر عودته من سفارته بفرنسا صحبة الكاتب محمد الصفار، وأخرى مؤرخة بتاريخ 29 جمادى الثانية 1264 هـ يخبره فيها برجوع أخوية عبد السلام ومحمد من الديار المقدسة بعد أداء فريضة الحج.

إذن العلاقة التي كانت بين محمد الحضري وبين آل أشعاش من جهة، وبين محمد الحضري والمخبر الفرنسي ليون روش من جهة ثانية، وبين ليون روش وبين آل أشعاش من جهة ثالثة تجعلنا نتأكد مرة أخرى بدور محمد الحضري في نقل المعلومات الخطيرة عن المغرب، كما تجعلنا نتيقن بأن المخاطب في الرسالة الذي أشار إليه بـ"فلان الروش" هو المخبر الفرنسي السالف الذكر.

الرسالة الثانية(*)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وغاية ودنا قونص الافرنسيس(12) أعانك الله، وسلام عليك السلام التام.

وبعـــــد؛ بلغنا أنك سائل عنا وعن كافة إخواننا، ونحن كذلك سائلا عنك وعن حالك أجرها الله على وفق مرادك . وإني نحب الدولة الافرنســيس لمــا فيهــم مــن الصــدق والعهــد الصالــح الــذي ليس فيه شك ولا خلاف، وسلم على قونــص طنجــة **أشميــث** (12م) وعلــى خليفتــهُ **كتيـــل**(13) ســلامـــا كثيــــرا، وقل للخليفة كتيــل إن **المكحلــة**(13م) التــي أعطيــتَ **لإعزانــا**(14)

---

* _ توجد صورة هذه الرسالة في كتاب عبد المجيد بنجلون المشار إليه سابقا ص. 420 أمــا مصدرها فهو نفس الأرشــيف الــذي توجــد فيــه الرســالة الســابقة:(115 : Archives Diplomatiques des Nantes) ويقدر الأستاذ عبد المجيد بنجلون أن الرسالة كتبــت فــي بحر سنة 1854 م بناء على مراسلة القنصل العام جاجير شميث إلى المســؤولين الفرنســيين بباريس في 6 نونبر 1854 في الموضوع الذي تتحدث عنه رسالة أحضري هذه (ينظر كتاب عبد المجيد بنجلون المشار إليه من قبل ص. 225).

(12) _ يقصد القنصل العام الفرنسي Jagerschmidt الذي كان يقوم برعاية الشؤون القنصلية الفرنسية بطنجة. كما كان يقوم بدور المخابرات الفرنسية في المغرب، علــى عــادة رجــال الهيئات القنصلية للدول الأوروبية في هذه الفترة وامتد لعدة سنوات إلى غايــة شــهر مــاي 1845م، ونجد مجموعة من المراسلات المتبادلة بينه وبين الحضري على مدى خمس سنوات (من 1850 _ 1855م) (انظر كتاب عبد المجيد بنجلون، ص. 223)

(12م) _ لعله خطأ في تعبير الكاتب في هذا التكرار، فهو نفسه المقصود سابقا، القنصــل الفرنسي، وكل ما فعل هنا أضاف اسمه الحقيقي.

(13) ___ كتيل فري أو Cotelle Fray نائب القنصل العام الفرنسي "جاجير شميث" المشار إليه في الهامش رقم : (12). ومترجما بالقنصلية الفرنسية بطنجة وكان لهذا الديبلوماسي علاقــة وطيدة بالسيد محمد الحضري، وقد سبق أن زاره بمنزله ببني سعيد على ظهر مركب رســا قرب داره بمرسى "**سيدي أحســاين**" مما أثار ضجة كبيرة وبلغ الخبر إلــى الســلطان عبــد الرحمان بن هشام، وكاتبه نجله الأمير مولاي محمد في الموضوع (كما توضح مجموعة مــن الوثائق بين يدينا).

(13م) _ تعبيرعامي يقصد به البندقية.

فتراها عندي في داري وكانت باعوها، وبحثت عليها حتى رديتها من حوز تازة، وتراها عندي. وغير هذه الساعة نرسلها لك مع الذي نثق به، وكن مطمئن البال. وأما **القدوم** الذي قدم عندي الخليفة **كتيل فرَيْ** بلغ الخبر ولد السلطان[15] بلغوه الحساد كالذين يأخذون الأجرة عن الكذب، ولا يخفى عليكم، وقالوا له الحضري[15م] له كلام مع الافرانسيس ويقدمون عنده إلى داره[16]، وتراه باحث على هذا الأمر؛ فالله يحل بيننا وبين شرهم، ونحب محبتنا معكم تكون مستورة[17]، وسرنا معكم كذلك، ولا يخفى عليكم أمر الناس والمكحلة التي عندي حتى يسرح البحر مع

---

(14) _ إعزانا فرقة كبيرة من خمس بني بوغافر بقبيلة قلعية، اشتهر سكان فرقة إعزانا بممارستهم الصيد البحري منذ القديم وهم أصحاب خبرة بالبحر قديما وحديثا، كما اشتهروا بالجهاد البحري ضد الغزاة الأجانب الذين كانوا يقصدون شواطئ منطقتهم، وكانوا باستمرار يقومون بحجز السفن وطاقامها التي تقصد شواطئهم مما سبب لهم كثيرا من المتاعب مع المخزن المغربي، إلى حد أن قام المخزن بتهجير كثير منهم وتغريبهم، كما تشير بعض الوثائق التي بين أيدينا (وللمزيد ينظر مقالتنا الموسومة بقضية الأسرى المحتجزين لدى قبيلة قلعية المنشورة بجريدة ثاويزا، في عدديها: 35 /مارس 2000، 36/ أبريل 2000 وهي عبارة عن إحدى عشرة وثيقة تتعلق بالجهاد البحري الذي كان يقوم به سكان بني بوغافر بقلعية ضد السفن الأوروبية).

(15) _ يقصد به الأمير محمد بن عبد الرحمان بن هشام الذي كان وليا للعهد وخليفة السلطان.

(15م) _ يعني نفسه، وقد سبق لي أن قدمت ورقة توضيحية عن هذا الرجل في دورية كنانيش رقم : 2 على هامش رسالة أرسلها إلى القنصل الفرنسي نفسه "جاجير شميث" ص. 119 _ 121، هامش رقم 13).

(16) _ يقصد أن رجال المخابرات الفرنسية يقصدون السيد محمد الحضري بمنزله بفرقة إزعوما بقبيلة بني سعيد، حيث توجد مرسى **سيدي أحساين**. والحقيقة أن هذا الأمر صحيح من خلال كتابات أصدقائه الفرنسيين فضلا عن أصدقائه الإنجليز، ويؤكد هذا الزيارة التي قام بها رجال من القنصلية الفرنسية بطنجة أثناء الجولة التي قاموا بها إلى المنطقة منهم: **كتيل** **نائب** القنصل الفرنسي بطنجة، الذي ورد اسمه في هذه الرسالة والرسالة المقبلة، والسيد **دو كايي** للتفاوض في شأن تعرض إعزانا للسفن الفرنسية بسواحل بني بوغافر (ينظر مضمون الرسالة اللاحقة رقم 3 التي توضح أن هذه الزيارة قد تمت باعترافه في هذه الرسالة، وما نقله الأستاذ عبد المجيد بنجلون من مقتطفات رسائل أفراد القنصلية الفرنسية في كتابه السالف الذكر:

Fragment d'histoire du Rif…, op. cit., p. 226.

فضلا عن القرائن التي نجدها في مختلف رسائله مع الأجانب الإنكليز منهم والفرنسيون.

(17) _ هذا وجه من وجوه العمل المخابراتي الذي لا يدع مجالا للشك، وهو نفس الأسلوب الذي يتعامل به مع مختلف الأجانب ومع رجالات المخزن المغربي بمن فيهم السلاطين الذين عاصرهم، كما توضح ذلك رسائله التي هي بين أيدينا.

الصبانو ا[17م] نرسلها لكم، لأن الصبنيول لم يجوز المكاحيل في البحر في هـــذه الساعة، وإن كانت حاجة في ناحيتنا فأشرنا عليها تقضى على المـــراد[18] بـــالله تعالى، وعلى محبتك والسلام.

محبكم محمد الحضري السعيدي وفق الله

بدون تاريخ[19]

[17م] لعل القصد هو الصبنيول (الإسبان).

[18] _ وهذا الكلام يزيد تأكيدا لما سبق أن أشرنا إليه، وإلا فما هو هذا المراد الذي سيقضـــيه الحضري للقنصل الفرنسي بدون إخبار السلطات المركزية للمخزن المغربي الذين يعدونه عينا المخزن على نواحي الريف.

[19] _ ونرجح أن يكون تاريخ هذه الرسالة في بحر سنة 1854م كما أورد عبد المجيد بنجلون في سياق عرضه لمجموعة من الرسائل المتبادلة بين الحضري وبين القنصل الفرنســــي (م. س.، صص. 225 _226).

الرسالة الثالثة

الحمد لله وحده   صلى الله علَى سيدنا محمد وآله

محبنا في الله وأعز ما لدينا **القونص**[20] نائب دولة الفرنسيس ومحبنا **خليفته**[21] أعانكم الله وأرشدكم وأعزكم وسلام عليكم تام معطر بالمسك الأصفر وعنبر الخام.

وبعد؛ حين قدمتم علينا إلى دارنا فاستعظموا ذلك أهل بلادنا وسار ذلك عند الخاص والعام[22]، ومنهم من عظم ذلك ونسبوا لنا ما لا يليق بذكره ، وأخذ علينا العامل، وكتبوا بنا إلى السلطان حتى ضاق بنا الحال غاية، وكانت المحلة قادمة من فاس على هذا الأمر، وباقي لم يظهر عندنا شيء منها. وأما أهل إعزاناً فقد كانت قبيلة قلعية اجتمعت عليهم بنية يأخذوا لهم ويخرجوهم من مكانهم، ويسكنون في موطنهم أحد آخر[23]، وقالوا لهم حين قدم عليكم بابور الفرنسيس لم تعطونه البارود وذلك بأمر المخزن[24]، وكتبنا للمخزن وقلنا له لا فائدة لك في أكل أعزانا[24م]، واترك سبيلهم وأنا الضامن فيما يلزمهم، وقد كتبوا لنا إعزانا بذلك وقالوا لي بالفضل منك تكتب للقونص لا يرجع عندنا في

---

(20) _ هو نفسه الذي أشرنا إليه في الهامش رقم 12.

(21) _ نفسه الذي أشرنا إليه في هامش الرسالة السابقة هامش رقم 13.

(22) _ هذا تأكيد صريح لزيارات أفراد القنصلية الفرنسية لدار الحضري، كما سبقت الإشارة.

(23) _ ولعل هذا التغريب أو التهجير لأهل إعزانا يأتي من ضغوط فرنسا على المخزن المغربي، وهو ما سنجده سينفذ في حق هذه الفرقة نتيجة حراستهم شواطئهم والدفاع عن حوزة قبيلتهم ومطاردة السفن الدول الأوروبية التي تتجول في سواحل المياه الإقليمية لقبيلتهم.

(24) _ هذه الإشارة تفيد أن المخزن المغربي يمنع كل هجوم على السفن الأجنبية من شواطئ خمس بني بوغافر، وبالضبط قرب إعزانا، فبدل الإشادة بهؤلاء في الدفاع عن أرضهم وشواطئهم أصبحوا يعاقبون على حراسة شواطئهم.

(24م) _ تعبير عامي مترجم من التعبير الأمازيغي، يقصد به هنا تأديبهم وعقابهم بفرض الغرامات ومصادرة ممتلكاتهم وأموالهم.

هذه الساعة، فتراه إن قدم لمرستنا[25] يضربوه ناس القبيلة بالبارود، وذاك أغُنَان فيها[26]، ولقد حركت القبيلة بأجمعها، ودخلنا في بعض من يحبنا منهم وخلوا القبيلة ورجعوا عنهم، ولم يأخذوا منهم شيئا، وتراهم يسلمون عليك غاية السلام، وأما أنا باقي لم يظهر أمرنا مع المخزن[27]، وتراني لا نثق به أبدا[28]، وقد نسبوا لنا أهدى لنا القونص مالا كثيرا وعنده كلام بينهم، واليوم نحبك تغفل عن القدوم إلينا حتى يظهر ما يظهر، وإن كان لك كلام معنا أرسله مع ولد أخينا حامل الكتاب، تراه قادما إلى ناحيتكم، وسلم منا على الرايس[29] الذي قدم معك إلينا وعلى الطبيب الذي كان معكم. وأما الإنجليز فقد قطع الطريق على فلوكتنا[30] كانت مسافرة لتطوان في موضع يقال له

---

(25) _ الرسالة تعني مرسى **إعزانا** وهو المرسى المعروف **بسيدي لحسن** أو مرسى **القالات** الذي يقع في المجال الساحلي لفرقة إعزانا.

(26) _ هي كلمة أمازيغية ودرجّها الكاتب في اللهجة العامية للعزبية ومعناها **تحديا** لهذه الزيارة إن تكررت.

(27) _ يشير هنا إلى قرار المخزن من الزيارة المشبوهة التي قام بها أفراد القنصلية الإسبانية لمنزل الحضري.

(28) _ هذا وجه من وجوه العملة التي يتعامل بها الحضري مع كل مخاطبه، ليقول له: لا أثق الا فيك.

(29) _ يقصد هنا قائد الباخرة البخارية "**تيوتن (Newton)**" التي حملت البعثة إلى الريف الأوسط عند زيارة أفرادها لمنزل السيد الحضري، وهو الكومندار **دوكايي** (Le commandant de Chaillé). عبد المجيد بنجلون، م. س.، ص. 226.

(30) _ يقصد هنا القارب الذي كان في ملكيته منذ 1268هـ/ 1851م يحمل اسم "**ميمون**"، وكان يقوم برحلات بين منطقة الريف وبين طنجة، بل نجد محمد الحضري يطلب في رسالة له، بين يدينا، إلى بعض المتعاملين معه من الفرنسيين بالقنصلية الفرنسية بطنجة (دون أن يسميهم بأسمائهم مكتفيا بإشارة رمزية تمثل شفرة سرية رسمها على هذا الشكل تقريبا (صديقنا X Zx) المطلوب من مقامكم التدخل لدى السلطات الإسبانية حتى لا تتعرض لقاربنا في عرض البحر لأنه ينوي إرساله إلى بعض الموانئ بالجزائر من مثل غزونة ووهران، وكذلك إلى تطوان وطنجة ربما كان هذا القارب يحمل مواد مهربة أو يحمل أشخاصا للهجرة السرية إلى الجزائر. ويورد المؤرخ الإسباني أن هذا القارب كاد أن يسبب أزمة بين إسبانيا وبريطانيا حينما حجزته إسبانيا في عرض سواحل البحر الأبيض المتوسط في النصف الثاني من أكتوبر 1858م (ينظر كتاب تاريخ المغرب، صص. 233_235 لخرونيمو بيكر (Historia de Marruecos, Jeronimo Becker, ed. Madrid, 1915). من **هنا نفهم أن قوارب الهجرة السرية ليست وليدة اليوم بل كانت منذ القديم،** وبخاصة بعد استعمار الجزائر حيث وفرت القوة الاستعمارية مناصب شغل موسمية للمغاربة وبخاصة أبناء منطقة الريف.

الجبهة[31]، وضربوهم بالبارود، وضربوه أيضا بالبارود وهربوا له إلى البر، ولم يأخذ منه شيئا، والحاصل اترك عنك سبيل الإنجليز حين لم يقبل كلمتك، فتـراه يفتش عليك. ولا بد لك تكتب كتابا لإعزانا وأنت معهم على عهد، وعلى محبتك والسلام. في 12 محرم الحرام عام 1271هـ.

محبكم محمد الحضري السعيدي وفقه الله

ونحبك تكتم سرنا على المخزن ولا يطلع علينا لأني أخاف من ضرره كما لا يخفاك[32].

ويوافق التاريخ أعلاه 5 أكتوبر لسنة 1854م.

(31) _ يقصد منطقة الجبهة الواقعة على ساحل البحر بإقليم شفشاون حاليا.
(32) _ هذا تصريح آخر لتعامله مع القوى الأجنبية.

الرسالة الرابعة(*)

الحمد لله وحده ولا يدوم إلا وجهه وصلى الله على من لا نبي بعده

محبنا وغاية ودنا قونص الافرنسيس[33] وخليفته[33م] أصلحكم الله وسلام عليكم ألف سلام وألف من التحية والإكرام وبعد؛ فالأمر الذي نعلمكم به بأن القائد متاع مليلية وهو الصبانيول يقطع الطريق في البحر على المسلمين، والمسلمين كذلك، وترى في هذه الساعة طلعوا بعض من قلعية إلى مركب كان في البحر وهو إخوة المسجون[34] الذي هو في تطوان على يد الإنجليز، وحين

---

* هذه الوثيقة يوجد أصلها بالأرشيف الديبلوماسي الفرنسي بـ "نانت" Nantes وأورد صورتها الأستاذ عبد المجيد بنجلون في: م. س.، ص.421. وينظر تعليقه على هذه الوثيقة بالكتاب نفسه، صص. 225 _ 226.

(33) _ هو القنصل الفرنسي المقصود في هذه المراسلة جاجير شميث "Jager schmidt" الذي أشرنا إليه من قبل .كان ممثلا لفرنسا بطنجة إلى غاية شهر ماي 1855م، مما يفهم أن الرسالة كتبها محمد الحضري قبل أن تنتهي مهمة جاجير شميث الديبلوماسية ويغادر طنجة. ثم إن هذه الرسالة جاءت بعد عدة مراسلات بين الحضري وبين هذا القنصل على مدى عدة سنوات (1850_1855م)، كما تبين مجموعة من المراسلات توجد بين يدينا، سنعمل على نشرها في الحلقة المناسبة – بحول الله–.

(33م) والمقصود بخليفته، أي نائب القنصل الفرنسي السيد: كتيل Mr Cotelle ، الذي أشرنا اليه من قبل

(34) _ لعله يقصد إخوان المسجون "بونيكولا" البوغافري، كما جاء في إحدى الوثائق التي بين أيدينا.

رآهم جماعة إعزانا[35] تبعوهم ووجدوا حبسوا المركب، ووجدوه موسوقا بالفحم متاع الحجر، وفيه سبعة رجال وأخذوهم، وخلطوا عليهم جماعة إعزانا بقوة عظيمة ووجدوهم أخذوا ما في المركب وتركوا المركب في البحر، وقالوا لهم ترجعوا معنا إلى المركب وإلا تعطون ما أخذتم منه من المتاع، ووقفوا على القتال في البحر وفكوا لهم السبعة رجال الذي وجدوهم في المركب، وقدموا إلى المركب ولم يجدوا فيه سوى الفحم، واشتغلوا يجرونه وقام عليهم الريح حتى قربوا على مليلية وخرج معهم الصبانيول من أمليلية وتركوا المركب في البحر وأخذه الصبانيول والرجال الذين وجدوهم في المركب نسبوا على **مالطة**، حتى خرجوا إلى البر وتكلموا مع الرجال فامتنعوا عن الكلام وظنوا الرجال المذكورون بأنهم العدو الذي يتقاتل معهم الافرانسيس، وخافوا وامتنعوا عن الكلام حتى أخذوا منهم الصرف، وتكلموا معهم فوجدوهم افرانسيس، وأرسلوا إعزانا عندي، وأنا كنت مسافرا في تمسمان، وقالوا لي تقدم علينا عزما، لأننا حبسنا مركب وجرج[36] للافرانسيس وأرسلت لهم رقاص[37] يردون الرجال إلى مركبهم الذي أخذه قائد أمليلية، وحين رجعت إلى داري وجدتهم ردوهم إلى مليلية إلى مركبهم، في الثاني من الأيام الذي قدمت إلى داري كتبت لك هذا الكتاب لتكون على بصيرة بهذا الأمر، مخبرا لك فترى إعزانا مع فرقة أخرى وقفوا على القتال كانوا أخذوا صبيا من الذين وجدوا في المركب وامتنعوا عليه، وكانوا لم يريدون أن يردوه وحركوا إليهم إعزانا وفكوه لهم على الدَّرْع[38] وردوه إلى مليلية إلى إخوانه وهذا ما نخبرك به، وعلى محبتك والسلام.

محبكم محمد الحضري السعيدي وفقه الله

---

(35) _ إعزانا في أصلها فرقة من بني بوغافر كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

(36) _ لم نفهم دلالة هذه الكلمة هل هي اسم لمركب فرنسي "وجرج"، أم إن الكلمة عامية في دلالتها تعني الجر أو شيئا من هذا القبيل.

(37) _ والرقاص هو الرسول أو المبعوث أو حامل الخبر والبريد اليدوي أو الشفوي.

(38) _ يقصد أنهم أخذوا بالقوة والغلبة.

فاعلم لا بد تكتم سر هذه البطاقة لأن المخزن تراه يجسس علينا[39] وعلى أمرنا معك والسلام.

[جاءت الرسالة خالية من التاريخ في سياق هذه الرسائل]

[39] _ أحسب أن هذه العبارة لا تحتاج إلى تعليق على الدور المزدوج أو المتعدد الذي كان يقوم به محمد الحضري.

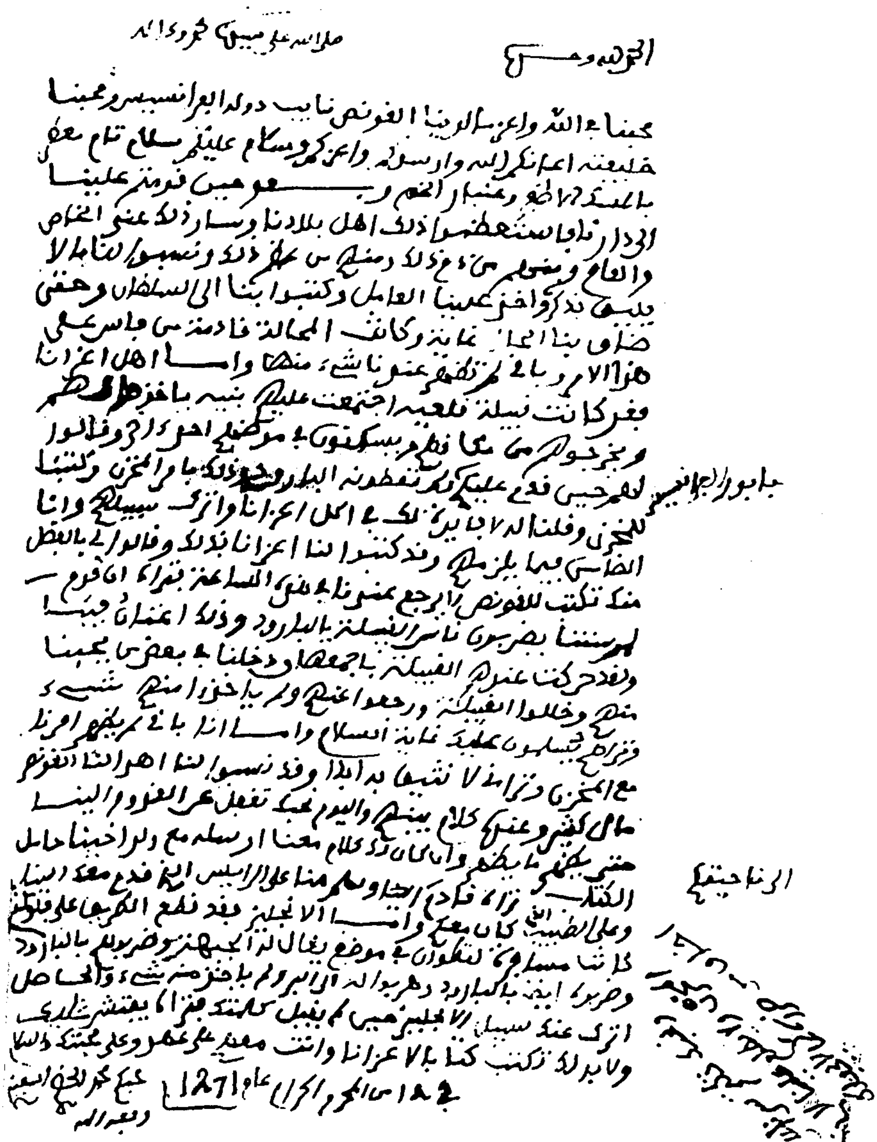
الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

المحب الاود الذي اشتاقت له القلوب وحال بيننا وبينه علام
الغيوب [redacted] ز اعانك الله ووفاك وحرسك
وبعد فقد غاب عنا خبرك وهذه ايام وشهور وسنين
ودهور لم يظهر علينا كتابك ولا خبرك وكنت الحسن
لا ينقطع علينا كتابك ولو تكون من وراء سبعة ابحر
وصاحبنا فزور السعيد قطع علينا رجله وخبره
وارسلت له بطاقات ولم يظهر عندنا جوابه وكذلك
بلغني خبرك انك في مدينة الجزائر وارسلت لك
بطاقات ولم يظهر عنه الجواب الا رجل قدم علينا
يوما وقال لي فلان الروش يسلم عليك لقيته في مدينة
ابليدة ولا بد لك من الجواب يصل الى صاحبك سوزي
يمكنه لصاحبنا فزور السعيد الصنهاجي وان سالت
عنا فنحن والحمد لله في عافية ونعمة من الله شاملة وبلادنا
وجميع ناحيتنا لا باس عليها واعطى الله الخير الكثير في هذا
العام واصلح فيها الزرع والزرع والنحل والعسل ولم يخص بلادنا
سوى شيء من احداث المخزنية في قبايلنا فاسرين ثم نصل البيع
الحكومة وزير قبيلة لخلاف فاسرين عندهم حزب والسبر
احمد عامل في مدينة تازة الان ولم يظهر له حس ولا اصحابنا
اولاد الغالي ثم عشعاش حبسهم السلطان وطلعوا الريف
وقد تغيرنا من اجلهم غاية والله يطلق سراحهم عن قريب انه سميع مجيب

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وغاية ودنا فدتص الاجرانسيس اعانك الله وسلام
عليك السلام التام وبعد فقد بلغنا انك سايل عنا وعن
كافة اخواننا ونحن كذلك سايلا عنك وعن حالك اجراها الله
على وفق مرادك وانا نحب الدولة ديال الاجرانسيس لما ابيع
من المودة والعهد الصالح الذي بيننا وبينه فنشد ولا خسلام
وسلم منا على قونص طاغية الشميت وعلى خليفته كنشل
سلاما كثيرا وبعد فقد اعلمنا الخليفة كنشل ان الكملة التي اعطيت
لاعزانا فنزلها عندي في دارنا وكانت باعوها وبعثنا
عليها حتى رددتها من حوزتنا ونزلناها عندي ونجبر هذه
السماعة ... سلمناك مع الذي تثق به وكن بها مطمئن البال
واما القدوم الذي قدم عند الخليفة كنشل فمن بلغ الخبر ولسيد
السلطان بلغوه الحساد كالذين ياخذون الاجرة على
الكذب ولا ينبغي عليكم وفاء الاله الحق بمنزلة كلام مع الاجرانسيس
ولغيرهم عندنا في دارنا ونقراه باهني على تلك الكلام والله
يجل بمحبتنا ... ونحب محبتنا معكم تكون مستورة ودبرنا
معلق كذلك ولا ينبغي بمحبتكم ان النابس الكملة التي عندي حتى
يسرح البحر مع الغنا وا نرسلها لكم لان الصبانيول لم يجوز
المكاديل في البحر في تلك الساعة وان كانت حاجة في ماتبتنا
من اشتريتها تجيبها تقضي على المراد بالله تعلى وعلى محبتكم والسلام

محبكم محمد ...



الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا محمد وآله

عام 1271

الحمد لله وحده   ولا يدوم الا وجهه   وصلى الله على من لا نبي بعده

محبنا وعزيز ودنا فرنص [illegible] الفرانسيس وقليبية اصلحكم الله
وسلام عليكم الف سلام والف من التحية والاكرام وبعد
فالامر الذي نعلمكم به بان الغابيو متاع املبليه ولمو الصبانيول يقطع
الطريق في البحر على المسلمين والمسلمين كذلك وزيد في هذه السنة
طلعوا بعض من قليبية الى مركب كان في البحر وهو اخوة المسجون الذي
هو في تطوان عند الانجليز وحين راو جماعة اعزانا تبعوهم
ووجدوا وحبسوا المركب ووجدوه موسوق بالفحم متاع الحجر
وفيه سبعة رجال واخذوهم وخلطوا عليهم جماعة اعزانا بقوة
عظيمة ووجدوهم اخذوا ما في المركب وتركوا المركب في البحر وقالوا
لهم ترجعوا معنا الى المركب والا تعطون ما اخذتم منه من المتاع
ووقفوا على القتال في البحر وبكوا لهم السبعة رجال الذي وجدوهم
في المركب ووصلوا الى المركب ولم يجدوا فيه سوى الفحم واشتغلوا
يجرونه وقام عليهم الريح حتى قربوا على املبليه وخرج معهم الصبانيول
من املبليه وتركوا المركب في البحر واخذه الصبانيول والرجال
الذين وجدوهم في المركب تسببوا على ما [illegible] حتى خرجوا الى البر وتكلموا
مع الرجال فامتنعوا عن الكلام وظنوا الرجال المذكورين بان شيء
العدو الذي ينفعنا تكلموا معهم بالافرانسيس وجابوا وامتنعوا
عن الكلام وسلموهم اعزانا وتكلموا معهم بالقابيون وتكلموا
معهم بالافرانسيس وامتنعوا عن الكلام حتى اخذوا منهم [illegible]
وتكلموا معهم فوجدوهم افرانسيس وارسلوا اعزانا [illegible]
وانا كنت مسافر الى [illegible] وقالوا لي تقوم علينا عن ما لا [illegible]
عفسنا مركبا وخرج للافرانسيس وارسلت لهم رفاص يردهم   رجعت
الرجال الى مركبهم الذي اخذه اهل املبليه وحين لم يدرك وجدتهم
ردوهم الى املبليه الى مركبهم وفي اثناء من الايام الذي قدمت الدار
كتبت لك هذا الكتاب لتكون على بصيرة بهذا الامر مخبرا لك
ووقع اعزانا مع فرقة اخرى ووقفوا على القتال كما انهم اخذوا
صبي من الذين وجدوا في المركب وامتنعوا عليه وكانوا لم يريدوا ان
يردوه وحصلوا [illegible] وبكوا لهم على الدراع ورده الى املبليه
الى اخوانه وهذا ما نخبرك به وعلى محبتك والسلام   اعزانا

محبكم محمد ابن السعيد
وفقه الله